اجواء ما قبل الحرب وعواصف آذار ٢٠٠٣ العاتية

مبارك يحذر صدام من التعامل مع الحشد الأمريكي وكأنه لعبة

المخابرات العراقية حددت يوم ٢٠ / ٣ موعداً لبدء الهجوم

صافي الياسري

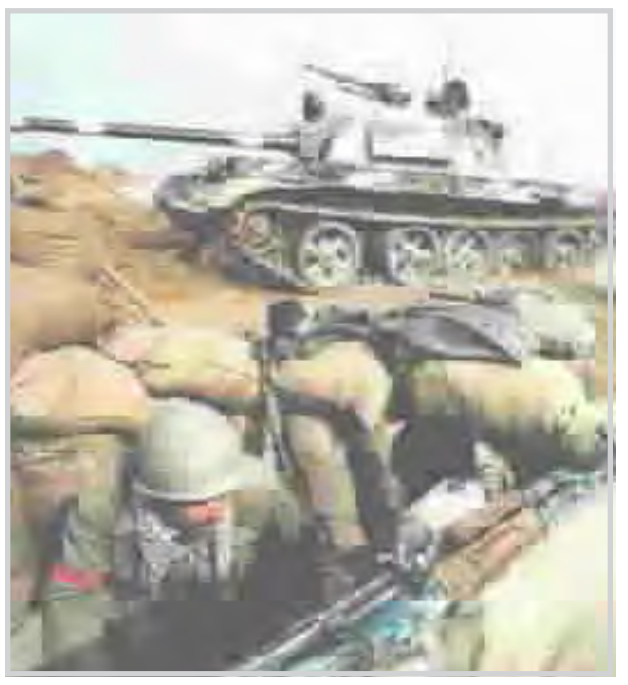

لم يكن العام الجديد ٢٠٠٣ ينبئ الشارع العراقي بشيء جديد فقد استمر النظام الحاكم يمارس جبروته المعتاد، ويطلع على العالم بمظاهر القوة والتحدي، بطريقة كانت تنعكس على عموم العراقيين في سجنهم الكبير مزيداً من الصبر والصمت والترقب.

كانت الجموع تعلم مدى الخواء الذي لف منذ زمن بعيد جسد النظام لكن حاجز الخوف الذي خلقه أمام عيونها، كان اقوى من رغبتها في مد أصابعها ولمس الحقيقة، كما ان مشاغل الحياة اليومية حولت الجميع، عمالاً وفلاحين وموظفين وتجاراً وكسبة إلى قطعان تعمل بالسخرة تقريباً في بستان تملكه عائلة صدام وحدها، ونجح صدام في تحويل الحصار الدولي إلى حصار داخلي يفرضه هو وازلامه، والى ورقة يساوم عليها المجتمع الدولي، بزيادة عذابات ومعاناة العراقيين والى حالة استنزاف ونهب للثروات الوطنية، تقوم بها عائلته وحاشيته وبقية حلقات نظامه كل حسب موقعه، لذلك لم يول احد منا اجتماعات مجلس الأمن وما يدور فيها كبير اهتمام، ولم نعبأ كثيراً بتصريحات المسؤولين الأمريكان وتهديداتهم ولم يكن فينا من يصدق ان ما يحدث ليس تكراراً لسيناريو اوائل التسعينيات يوم ورط الأمريكان العراقيين بالثورة على نظام صدام وتركوهم حصاداً لدباباته وحرسه وأجهزته القمعية.

عاد بعدها النظام أشد شراسة وجبروتاً وقسوة، بل حتى اركان النظام كانوا على يقين من ان الحقيقة لا تعدو ذلك وان اميركا ليست جادة في نياتها، وأول أولئك كان صدام نفسه، ويمكننا الاستشهاد بلقاء مبعوث الرئيس الروسي بوتين (بريماكوف) إلى صدام بعد تأزم الأمور لنصيحته بالتنحي عن السلطة، وكيف اجابه صدام "ان الروس سبق لهم ان نصحوه النصيحة نفسها ابان عاصفة الصحراء، لكن نظامه بقي وسيبقى هذه المرة أيضاً والأمر لا يعدو حرباً نفسية تشنها الإدارة الأمريكية لأسباب ذاتية". لكن الواقع كان شيئاً آخر، فقد كانت أمريكا وحلفاؤها تعد العدة فعلاً لتنفيذ برنامج اقتلاع نظام صدام بالقوة، بعد ان وفر لها كل الحجج والذرائع الكفيلة باقتلاعه وفي مقدمتها شدة بطشه واستعداؤه العراقيين الذين دفعوا من ثرواتهم وأرواح ابنائهم وكرامتهم ثمناً باهظاً ما زال يثقل كواهلهم.

وفي الأسبوع الأخير من كانون الثاني ٢٠٠٣ شددت الولايات المتحدة حملتها الإعلامية للتهيئة للحرب ووجهت إلى نظام صدام تهمة احراق آبار النفط مؤكدة ان اقمارها الصناعية رصدت حرائق في آبار نفط الجنوب يوم ٢٤/ ١/ ٢٠٠٣، وفي اليوم نفسه حذر الرئيس المصري حسني مبارك صدام من التعامل مع الحشد الأمريكي وكأنه لعبة، ووجهت تحذيرات مماثلة شخصيات سياسية واعلامية عربية على علاقة بالنظام عبر جهاز المخابرات العراقي، الذي كشفت اوراقه التي تناثرت على الارصفة بعد انهيار النظام، ان (لجنة النوايا) في هذا الجهاز تلقت تحذيراً من السياسي الفلسطيني نايف حواتمة ومن الصحفي اللبناني فؤاد مطر تحدد يوم ١٧/ ٣ موعداً لشن الهجوم الأمريكي على العراق، بينما سرب حاكم رأس الخيمة الشيخ صقر بن سلطان القاسمي اخباراً مهدئة تؤكد أن الأمور لن تصل حد الانفجار وذكر زوج عمة الملك المغربي ان هناك مبادرة ستقدمها القمة العربية التي ستعقد لاحقاً لتدارس الوضع، وكانت تلك مبادرة الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات الراحل، المتعلقة بتنحي صدام عن الحكم مع توفير ضمانات له ولعائلته حقناً لدماء العراقيين وحفاظاً على العراق.

وفي مطلع شباط فشلت زيارة قام بها هانز بليكس ومحمد البرادعي إلى بغداد لاقناع صدام بالاستجابة إلى مطلب المجتمع الدولي ونزع اسلحة الدمار الشامل المتهم بتخزينها، الأمر الذي دفع كولن باول وزير الخارجية الاميركي إلى قراءة بيان امام مجلس الأمن أكد فيه ان العراق ما زال يخفي اسلحة للدمار الشامل، وعندها تغيرت لهجة وتصريحات المسؤولين الأمريكان ووسائل الاعلام الأمريكية فلم تعد تتحدث عما إذا كانت الحرب ستقع أم لا؟ بل أصبحت تدور حول متى وكيف تقع هذه الحرب؟ وأمام هذه التطورات المتسارعة قام الرئيس الروسي بوتين بزيارة إلى كل من فرنسا والمانيا، اللتين كانتا تعارضان بشدة شن الحرب على العراق، لمناقشة مبادرة ثلاثية توسع عمل فريق التفتيش عن الأسلحة الذي وافق العراق على استقباله من جديد بعد ان طرده من قبل وتحويل ولايته إلى قوات من الأمم المتحدة تشرف عليه، لكي تمكنه من الكشف عن الأسلحة من دون مضايقة من السلطات العراقية، كذلك نشط الرئيس المصري للقيام بزيارات لعدد من الدول العربية بهدف حشدها وراء قرار عربي جماعي يعلن في القمة العربية التي اتفق على ان تعقد في آذار في شرم الشيخ، ونشطت وزارة الخارجية العراقية حتى على الكويت عارضة مناقشة ملف المفقودين.

بريماكوف ينصح صدام بالتنحي

وفي العاشر من شباط غادر رئيس فريق التفتيش بغداد، مؤكداً عدم العثور على الأسلحة المطلوبة في تقرير قرأه على مجلس الأمن، عندها أعلنت واشنطن أنها تعد لاصدار قرار جديد لمجلس الأمن يوجه انذاراً اخيراً للعراق ويعلن المجتمع الدولي ان العراق في حالة خرق مادي للقرار (١٤٤١) وفي هذه الأجواء بدأت الصحافة ووسائل الاعلام الغربية وتبعتها العربية تتحدث عن امكانية تنحي صدام عن الحكم وتتحدث عن البدائل، بينما راح المسؤولون الأمريكان يسربون إلى الصحف معلومات تفصيلية عن مخططاتهم المستقبلية للمنطقة بعد الحرب الوشيكة على العراق، ومنهم ريتشارد بيرل مستشار وزير الدفاع الأمريكي الذي صرح لصحيفة الشرق الأوسط اللندنية في ٢٠/ ٢ أنه ليست هناك دولة عربية تتعاون مع الأمريكان بنشاط في أي مجال يطلبونه!

بينما قال بول ولفو فيتز مساعد وزير الدفاع الأمريكي، ان هناك دولاً عدة في الشرق الأوسط ستساند الولايات المتحدة إذا شنت الحرب على صدام في اشارة إلى إسرائيل.

وفي آذار شهر العواصف العاتية، أو كما يسميه العراقيون (شهر الهزاهز والأمطار) وبعد قمة جزر الأزور البرتغالية التي عقدها الرؤساء الثلاثة، بوش، وبلير، وازنار، سحبت واشنطن ولندن ومدريد، ما سمي بمشروع قرار (الانذار الأخير) ومنحت الأمم المتحدة يوماً واحداً للقيام بعملها فيما يتعلق بالقرار، كفرصة أخيرة لتبني قرار (الانذار الأخير) الذي لم يكن في الحقيقة سوى تشريع للحرب.

وقال رئيس الوزراء البريطاني توني بلير عقب القمة: (بلغنا الآن لحظة القرار وندعو اخيراً إلى توجيه رسالة قوية وموحدة باسم الأسرة الدولية تشكل انذاراً لصدام، انذاراً واضحاً.. أؤكد.. يسمح باستخدام القوة إذا استمر في تحدي ارادة مجمل الأسرة الدولية التي عبر عنها القرار ١٤٤١).

وقال الرئيس بوش (ان العالم سيواجه غداً لحظة الحسم بشأن نزع اسلحة العراق وسنعرف إذا ما كان الحل الدبلوماسي ممكناً أم لا واذا كان اللجوء إلى القوة ضرورياً لنزع أسلحة العراق، فسنعمل بسرعة على استصدار قرار جديد من الأمم المتحدة).

وكما كان متوقعاً رفض مجلس الأمن ان يتبنى قراراً ثانياً يتضمن انذاراً نهائياً، وكرر وزير خارجية فرنسا . دوفيلبان . العرض الذي اقترحه شيراك والمتضمن مهلة ٣٠ إلى ٦٠ يوما لعمليات التفتيش، بينما أكد الرئيس الروسي بوتين ان أي حرب على العراق هي خطأ مثقل بالعواقب التي قد تزعزع الوضع الدولي برمته، وأعلن المستشار الألماني غيرهارد شرويدر معارضته للحرب، بينما دارت خلف الكواليس مناورات الاستقطاب وصفقات شراء المواقف شملت تركيا التي تلقت عرضاً بتسهيل قبولها عضواً في الاتحاد الأوروبي في حال رفضها مرور القوات الأمريكية من اراضيها وفتح جبهة شمالية . وذلك ما فعلته . بينما عرضت عليها واشنطن تعويضات ومساعدات وقروضاً تزيد على ثمانية مليارات دولار، وشملت الصفقات عدداً من الدول العربية والأقليمية.

الولايات المتحدة وحلفاؤها أتموا حشدهم في الكويت والخليج العربي، ووزعت البنتاغون عدداً من السفن والبواخر الحربية في البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط والخليج العربي، بينما بقيت الجهة الشمالية مغلقة ولم تفلح جهود الحلفاء في اقناع تركيا بفتحها.

وفي وقت لاحق انسحب مراقبو الأمم المتحدة من المنطقة الحدودية العراقية الكويتية، ودعت واشنطن رعاياها إلى مغادرة الكويت ودبلوماسييها غير الأساسيين إلى مغادرة الكويت وسوريا وإسرائيل وطلبت بريطانيا من رعاياها باستثناء الدبلوماسيين مغادرة الكويت وإسرائيل.

ونصحت واشنطن هانز بليكس ومحمد البرادعي بسحب المفتشين الدوليين من العراق، جرى كل ذلك على مدى الأسبوع الثاني من آذار، وفي هذا الوقت (نهاية الأسبوع الثاني) أكدت مصادر في البنتاغون، ان التخطيط العسكري للحرب دخل مرحلته النهائية وان القوات العسكرية المتحشدة في المنطقة اكملت استعداداتها للانطلاق حالماً يتخذ الرئيس بوش قرار البدء بالحرب.

وفي ١٨ / ٣ أعلنت وسائل الاعلام الأمريكية نقلاً عن البيت الأبيض ان الرئيس بوش سيوجه خلال ساعات خطاباً إلى الشعب الأمريكي والعالم ومن المتوقع ان يكون (إعلان حرب)، وفي الوقت المحدد أعلن بوش إنذاره للرئيس العراقي، مانحاً إياه مهلة ٤٨ ساعة للتخلي عن الحكم ومغادرة العراق هو وولداه، وبعكسه ستقوم الحرب، ودعا الجيش العراقي إلى عدم القتال دفاعاً عن صدام.

سارع صدام إلى رفض الانذار وسخر منه، ووعد بالنصر المؤزر!

وقال ناجي صبري الحديثي وزير خارجيته (آن أي طفل في العراق يعرف ان الانذار لن يجدي نفعاً) وكان صدام قد رفض قبل ذلك مبادرة القمة العربية التي اقترحها الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات العربية، والتي تتلخص في ان يتنحى صدام عن الحكم على ان توفر له دولة الإمارات ولعائلته ولحاشيته وعدد من ازلامه ملجأ آمناً يفد إليه معززاً مكرماً منعماً لإراقة الدماء ولتجنيب البلاد كارثة محققة. حسب نص ورقة المبادرة. لكن هذه المبادرة الكريمة الحريصة على العراق وأهله، قوبلت بالسخرية والامتعاض وكانت صحيفة الشرق الأوسط اللندنية الصادرة في ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٣ قد نقلت عن صدام قوله (ولدت هنا... وسأموت هنا) ووصف من يعرض عليه فكرة التنحي بأنه (بلا أخلاق)، اما وزير اعلامه محمد سعيد الصحاف فقد صرح في لقاء اجرته معه قناة الجزيرة في برنامج قضايا الساعة في ١٧/ ٣ تعليقاً على هذه المبادرة (سجلوها علي، سيرحل المجرم بوش، وسيرحل هذا التافه بلير، وسيرحل الكثير من تجار الحروب، والقائد صدام حسين سيبقى واقفاً كالطود الشامخ).

وفي حينها سمع العراقيون (الهارب) عزة الدوري، نائب صدام وهو يتحدث إلى الرؤساء والملوك العرب في قمتهم، بلغة أين منها (لغة أبناء الشوارع) وهو يرد العرض الكريم للراحل الشيخ زايد.

وفي ١٧/ ٣ كتبت لجنة النوايا في جهاز المخابرات خطاباً معنوناً إلى ديوان رئاسة الجمهورية/ السكرتارية/ عبد حمود/ تقول فيه أنها حصلت على معلومات مصدرها القنصلية الإسرائيلية في اسطنبول تفيد بان الهجوم على العراق سيبدأ يوم ٢٠/ ٣ (نسخة من الكتاب محفوظة لدى الرابطة العالمية الإنسانية للسجناء السياسيين في الكاظمية)، ولم يتأخر عبد حمود كثيراً ففي ١٨/ ٣ سحب هو وقصي بكتاب موقع من صدام مبلغ ٩٠٠ مليون دولار و ٣٠٠ مليون يورو من البنك المركزي العراقي.. كما صرح فيما بعد محافظ البنك المركزي العراقي.

وبدأت الحرب في فجر ٢٠ آذار وفي هذه الصفحة كان للصحاف دور لا ينسى، فقد غابت رموز النظام، وظلت وسائل الاعلام تكرر خطاب صدام الذي استهله بـ(أطلق لها السيف) و(غدر الغادرون) حتى ظهر وزير دفاع صدام سلطان هاشم على شاشة تلفزيون بغداد يختلط صوته بصوت الانفجارات التي كانت تهز أرجاء بغداد، ليعلن ان الأمريكان توغلوا في العمق العراقي وانهم سيكونون على اسوار بغداد في مدة لا تزيد عن عشرة أيام، وعلق صدام على ذلك قائلاً ان معركة بغداد القادمة هي الفيصل وان قوات التحالف ستنتحر لا محالة عند هذه الاسوار!

وفي هذه الايام برزت مظاهر التسليح الثقيل في شوارع وازقة بغداد واحيائها السكنية، ووضعت الصواريخ في الفراغات بين الدور السكنية، وتوزعت مفارز الحرس الجمهوري وفدائيي صدام والرفاق واجهزة الأمن والمخابرات والشرطة على عقد المدينة وساحاتها، بينما شغلت الدبابات مزاغل خصصت لها، وكانت هذه الحلقة الأخيرة للدفاع عن بغداد، التي امتلأت مدارسها وعدد من جوامعها وبعض بيوتها بالذخيرة والسلاح، واحاطت كتائب مدفعية الحرس الجمهوري وكتائب الصواريخ والدبابات بضواحي بغداد واطرافها وبساتينها مشكلة الحلقة الوسطى للدفاع عن العاصمة، بينما نجحت قوات التحالف في تجاوز المدن الجنوبية دون محاولة اختراقها التي فشلت فيها بسبب المقاومة الشرسة التي أبدتها تلك المدن، وقد تقدمت قوات التحالف على عدة محاور باتجاه بغداد من الجنوب والجنوب الغربي وقامت بانزال مفارز من القوات الخاصة التابعة لوحدات المارينز خلف القوات العراقية وبعضها شكلت سيطرات على نقاط شرق وشمال بغداد، ونجحت في ادخال عملائها المزودين بأحدث أجهزة الاتصال عبر الاقمار الصناعية، لارشاد الصواريخ الذكية والطائرات إلى الاهداف المطلوبة، وبحسب تقارير جهاز المخابرات العراقي. لجنة النوايا . فان عدداً كبيراً من هؤلاء العملاء دخلوا العراق قبيل الحرب ومنهم عدد من المغتربين العراقيين في اميركا . وفي هذا الوقت شلت منظومة الاتصالات المدنية . البدالات والكيبلات الارضية. وجزء مهم من منظومة الاتصالات العسكرية التي كان بعضها مكشوفاً لقوات التحالف وأجهزة استراق السمع، وعزلت قيادات الجيش والحرس عن مراكز السيطرة والقرار والتوجيه والمتابعة، بينما استمرت صواريخ التالف تدك مواقع الجيش والحرس الجمهوري وجهاز الأمن الخاص وحتى يوم ١/ ٤ كانت قوات التحالف قد اطلقت على العراق ٨٧٠٠ صاروخ وقذيفة بحسب تصريحات القادة الأمريكان. والقت الطائرات الاميركية قنابل عنقودية على عدة مناطق من بغداد، كما استخدمت نوعاً جديداً من قنابل (الصدمة) ذات الصوت الخاص والتأثير الفعال على الجهاز العصبي، إضافة إلى انواع أخرى من الأسلحة الحديثة التي وجدت القوات الأمريكية في الساحة العراقية ميداناً لتجريبها.

اجواء بغداد حتى نهاية آذار كانت مدلهمة وامطرت السماء مطراً اسود بسبب الدخان الذي لف أجواء العاصمة وكان النظام قد حفر خنادق حول بغداد ملأها بالنفط الأسود واشعل النيران فيها بذريعة ان هذا الدخان سيربك (الصواريخ الذكية) ويضللها عن أهدافها، ولو حصل هذا لكانت الأهداف مدنية بالتأكيد، فالنظام البائد وزع مواقعه العسكرية وأسلحته قريباً من الأحياء السكنية وداخلها.

هذا هو الموقف تحت مطارق وعواصف آذار العاتية.

مادة اعلانية

شركة MTC أثير ترعى أحتفالية بمناسبة يوم اليتيم

شاركت MTCأثير للاتصالات المتنقلة في العراق برعاية احتفالية يوم اليتيم العالمي التي اقامتها منظمة الحياة للأغاثة والتنمية تحت شعار (يوم اليتيم اشراقة أمل) .

وجاءت مشاركة MTCأثيرانطلاقة من احد اهداف الشركة المتمثلة بالدعم المتواصل للمنظمات الانسانية والخيريه .

وقد قدمت الشركة هدايا متواضعة الى قرابة ٥٠٠ طفل يتيم مساهمة تنم عن الحس الانساني والانتماء للمجتمع الذي تعمل فية الشركه .

وبهذه المشاركة المتواضعه فقد اسهمت MTCأثير برسم الفرحة والبهجة في نفوس الاطفال اليتامى .

وقد لاقى حضور ممثلين عن MTCأثير بهذه الاحتفالية ترحيبا كبيرا من قبل المنظمة وتفاعلا حميميا من قبل الاطفال اليتامى .